اللغة الآرامية في العصر الإسلامي

وعند انتشار الإسلام في بلاد الرافدين وسوريا وفلسطين انتشرت اللغة العربية فيها كونها لغة القرآن الكريم ، فانحسرت اللغة الآرامية السريانية وتراجعت تراجعاً شديداً ، وحلت العربية محلها لغة رسمية ومحكية ، وبقيت الآرامية السريانية مستعملة في كنائس الموارنة والروم والسريان والآثوريين والكلدان ومحفوظة عند علمائهم .

وقد حصل مع تمادي الأيام اختلاف في اللفظ للناطقين بالآرامية السريانية فانقسمت إلى لهجتين شرقية وغربية. فالشرقية تعرف بالكلدية الآثورية، وهي لهجة الآثوريين النساطرة والكاثوليك الكلدان ، وهي الأقدم ، أما الغربية فتعرف بالسريانية وهي لهجة الموارنة والسريان الارثوذكس والكاثوليك حيثما وجدوا.

ولابد لنا من الإشارة إلى إسهام السريانية وآدابها في إثراء اللغة العربية وتراثها الفكري والعلمي، لاسيما في العصرين الأموي والعباسي. فقد كان للناطقين بالسريانية دور كبير في رفد الحضارة العربية في مجالات وعلوم شتى ، كالطب والفلسفة والترجمة والفلك وعلوم أخرى ، وقد برزت أسماء سريانية كان لها دور في نقل المعارف والعلوم إلى العربية ، مثل آل بختيشوع ، كبختيشوع بن جبرائيل وجبرائيل بن بختيشوع وابو سعيد عبيد الله حفيد بختيشوع ويوحنا بن بختيشوع بن جبرائيل.

وقد تميز آل بختيشوع في الطب علماً وممارسة، وكانوا يتقنون اليونانية والعربية والفارسية فضلاً عن لغتهم السريانية. فكان جبرائيل طبيباً خاصاً للخليفة العباسي هارون الرشيد ، كما وضع رسالة خاصة في المطعم والمشرب لابنه الخليفة المأمون . أما بختيشوع فقد كتب مصنفات أهمها رسالة في تدبير الأبدان وأخرى في الحجامة، وكان كاتباً في ديوان الخليفة المقتدر .

وكان لأبي سعيد عبيد الله آثار علمية جمة مثل كتاب تذكرة الحاضر وزاد المسافر، وكتاب طب الأخلاق، وكتاب مناقب الأطباء، وكتاب نوادر المسائل وغيرها ، أما يوحنا بن بختيشوع فقد نقل كتبا كثيرة من اليونانية والسريانية إلى العربية.

ومن أعلام السريان الذين ساهموا في رفد الحضارة العربية ايضاً آل ما سويه، ومن أشهر أعلامهم أبو يوحنا ماسويه وأبنه أبو زكريا يوحنا بن ما سويه الذي أشتهر بالترجمة والتأليف. ذكر له أبن أبي أصيبعة أثنين وأربعين بين كتاب ومقالة، معظمها في الطب. ويذكر ابن جلجل في كتابه (طبقات الأطباء والحكماء) "ان هارون الرشيد قلد يوحنا بن ماسويه

السرياني ترجمة الكتب القديمة مما وجد في أنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم التي فتحها المسلمون، فوضعه أمينا على الترجمة".

كما كان لآل حنين دور عظيم لا يخفى على المعنيين بشؤون التراث والحضارة ، إذ أسهموا اسهاماً كبيراً في نشوء المعرفة وازدهارها وتطويرها ، ومن أشهر أعلام هذه العائلة ، حنين بن إسحاق (810- 873م) ، وأبنه أسحق بن حنين وأبن أخته حبيش بن الحسن الأعسم ، فقد نبغ آل حنين في نقل الكتب الطبية بالدرجة الأولى ، ثم كتب الفلسفة والفلك والرياضيات وغيرها ، وقد ذُكر أن حنين وحده ترجم ولخص وفسر أكثر من مائتي كتاب ومقالة ، ونقل إلى العربية من مؤلفات ابقراط وجالينوس، نذكر منها: أسباب الأمراض،أصناف الحميّات الأمزجة ، التشريح للمتعلمين ، وغيرها.

أما أسحق بن حنين فان ترجماته تربو على الخمسين، فقد نقل إلى العربية من مؤلفات أرسطو كتب الطبيعة، الحروف ، الإلهيات ، النفس والأخلاق ، الكون والفساد ، كما أنه ترجم لأقليدس كتب الأصول والتفسير والنسب والفرضيات والبصريات والتحرير وغيرها من الكتب النافعة .

وترجم حبيش بن الحسن الأعسم لأبقراط كتب العهد، الأجنة، الأهوية ، المياه والبلدان ، ونقل أيضاً كتب جالينوس ، مثل كتاب النبض الكبير ، اختلاف التشريح ، منافع الأعضاء ، المدخل إلى المنطق ، قوى النفس ، وغيرها.

وهناك كثير من اعلام السريان الذين أثروا الحضارة العربية وكان لهم أثر في خدمة الانسانية ، كأيوب الرهاوي، جرجس اسقف العرب ، الحسن بن بهلول ، أبن العبري ، عبد يشوع الصوباي وأخرون.

أما اليوم فان الآرامية الحديثة في بلاد الرافدين تتمثل بالسريانية الدارجة أو لهجة السورث ،وهي لهجة الآثوريين وغالبية الكلدان والسريان ، وهي لاتزال متداولة في الأوساط السريانية . وهناك آراميون آخرون هم الصابئة المندائيون لا يزالون يستخدمون المندائية ، وهي احدى اللهجات الآرامية، في اقامة صلواتهم وشعائرهم الدينية ، ومن أهم كتبهم : الكنزا ربا : أي الكتاب العظيم ، دراشا دي يهيا : أي تعاليم يحيى ، القلستا: أي كتاب المدح ، سدرا دي نشماثا : أي كتاب النفوس .

في ما تقدم قدمنا دراسة لتاريخ للغة الارامية عبر العصور التاريخية في ضوء المعطيات الاثارية والمصادر التاريخية واوجزنا فيها مراحل ظهور هذه اللغة ومراحل تطورها وانتشارها وتفرع اللهجات منها في بلاد دالرافدين خاصة وفي البلدان المجاورة لها ثم عوامل انحسارها وبقاء بعض لهجاتها المحكية حية الى يومنا هذا .